



المستبد يرى نفسه إلهاً وفي أسوأ الأحيان بشراً معصوماً، وهو إنسان متعال، عنيد، فاسق، فاسد، ضال وهاك. المستبد لا يصبح مستبدياً إلا إذا ملك قوة أو منصباً، وهو من أسوأ الناس طبعاً، وأكثرهم ظلماً، أما استبداده فلا يكتفى إلا بوجود حاشية تعينه عليه، فتسبح بحمده وتمجد له، وتفعل ما يوسعها لخدمة استبداده وجعل أهوائه منهجاً يسرون عليه.

وهكذا حاشية حاضرة دوماً لთمَر فتنفذ وأياً كانت المهمة الموكلة إليها ومهما كانت قذارتها، وهي عندما تفعل ذلك لا تفعله إلا لكسب ثقة المستبد، وقوم كهؤلاء هم أراذل الناس على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم.

يقول عبد الرحمن الكواكبي مُعرفاً بالاستبداد في بعض جوانبه: الاستبداد لو كان رجلاً وأراد أن يحتسب وينتسب لقال: «أنا الشرُّ وأبي الظلم، وأمي الإساءة، وأخي الغدر، وأختي المسكنة، وعمي الضرُّ، وخالي الذُّلّ، وابني الفقر، وبنتي البطالة، وعشيرتي الجهالة، ووطني الخراب، أما ديني وشرفي فالمال المال المال».«

الثورات يصنعها المفكرون الأحرار، ويموت في سبيلها الشجعان، ويستغلها ويستفيد منها المتسلقون والجبناء، لكن ما الذي قد يدفع فرداً أو جماعةً أو أمةً للثورة؟ أليس ظلم المستبد؟ أليس غياب العدالة؟ أليس يأسُ الثائر من أيأمل بتغيير يعيد الأمور إلى نصابها؟.

كريمة هي الشعوب التي ثور على المستبد ولا ينبغي إهانتها، وعظيمة فلا ينبغي تحقيرها، من عمل لها رفعته ومن ظلمها عرته ولفظته، من حاول سرقتها قطعت يديه، ومن خانها أهلكته، فكيف بثورة مهرها الدماء سالت غزيرة وأعراض إنتهكت وأُسرُ شُرِدت وفُكِكت ووطن إنقلب عالية سافله؟ فكيف بها ثورة كثورة الشام ربانية؟!.

لقد فتحت ثورتنا ذراعيها لأبنائها، لكل من أراد ان يخدمها وأن يعمل لها، فتطوع كثيرون وتنفع كثيرون، البعض عمل للثورة وأخرون عملوا لسلطة او مال وجاه، فمن عمل للثورة مخلصاً ضحي بكل غال ونفيس وإحتفظ لنفسه بكرامتها وعزتها، وأما

من تنطع من أجل مصلحة او منصب او مال فضحي بما يملك من عزة وكرامة من أجل ما تنطع له، فباع شعبه ووطنه وخان دينه وامانته ودماء من ضحوا.

الحرية ليست ترفا ولا كماليات وليس مطلبا يمنح أو يعطى، لكنها ضرورة وجودية لا يمكن الاستغناء عنها، فقد منحنا إياها رب العزة بإقراره مبدأ عدم الجبر في الاعتقاد بين خلقه فلم يجبر إبليس مثلاً على السجود لآدم (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا آدم فسجدوا إلا إبليس أبي وأستكبر وكان من الكافرين) (البقرة: 34) وكذلك لم يكره أحداً على الدين فقال: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (البقرة 256) وترك لخلقه من الجن والإنس حرية الإيمان والكفر: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رِبِّكُمْ فَمِنْ شَاءَ فَلِيؤْمِنْ وَمِنْ شَاءَ فَلِيَكْفُرْ) (الكهف 29).

فإذا كان الله عز وجل قد منحنا الحرية في الاعتقاد وحملنا مسؤولية الاختيار، فمن باب أولى أن تكون أحراراً فيما دون ذلك من شؤون حياتنا وتفاصيلها الدينية، ولا يحق لأي كان أن ينتقص من حرية الآخرين بحال من الأحوال ولا أن يعطي لنفسه الحق في أن يمارس استبداده وظلمه على الشعب الذي ضحي وقدم الدماء.

الاستبداد قد يكون دينياً أو سياسياً أو إعلامياً أو عسكرياً وبحسب طبيعة المستبد، فإذا ما كان رأس هرم السلطة هو المستبد فإنه سيجمع كل صفات الاستبداد ليشرها مذهبًا وعقيدة تقول حاشيته تعيمها والعمل على جعلها سلوكاً يومياً لا يستقيم حالها دون تطبيقه. **والمستبد الجاهل شديد الخطورة في حال وصل إلى مركز القرار فجهله وترامك أخطائه سيجعل منه مستبدًا لأنه سيكرس كل ما يملك من سلطة أو قوة أو مال من أجل فرض نهجه الخاطئ والتغطية على قصوره الحاصل، وسيجد من يزين له سوء أعماله.**

لقد ابتدلت ثورتنا ببعض من تسللوا أو تسلقوا عليها لسبب من الأسباب وهم يسمون أنفسهم قادة ورموزاً دينية وسياسية وعسكرية وإعلامية لا تقبل نصراً ولا تسمع لنقد، أعطت لنفسها الحق في أن تكون آلة بشرية منزهة ومحصومة تحاسب ولا تُحاسب، فترها تحاسب هذا وتعاقب ذاك تقصي فريقاً وتشتري آخر مسخرة ما بيدها من مقدرات الثورة التي لولها لما كانوا على ما هم عليه، هل لو جلستم في بيوتكم أكان سيصلكم ما وصلكم.

أخطأ عمر وأصابت امرأة .. قالها الفاروق عمر! فمن أنت؟

من العار أن يكون هنا وفيينا من يدعى القيادة وتمثيل الثورة، ثم يعطي لنفسه الحق ليس فقط بتكميم الأفواه ومعاقبة من يعارض نهجه أو ينقد سلوكه، لابل وينعتهم بالداعشية تارة وبالعمالة تارة أخرى وبالفسقين في أحياناً كثيرة، متناسياً أن هؤلاء الذين لا يلقي لهم بالاً كما فعل النظام من قبله، هم من فجر الثورة وثار على نظام ظالم فاجر لم يرع لشعبه حرمة أو حقاً ولم يقبل نصيحة أو نقداً، فكان من أخذتهم العزة بالإثم فأعمت أبصارهم وبصائرهم.

إن قيام من نصبو أنفسهم ممثلين للثورة بالانفراد بالقرارات وقبول القيام بمبادرات يطرحها الآخرون، وكذلك تنفيذ التعليمات الخارجية دون مراعاة مصلحة الوطن والشعب فقط من أجل الحفاظ على المكاسب والسلطة أو لوعد بكرسي أو منصب هو نفس الخطأ الذي ارتكبه النظام السوري المجرم بحق شعبه ووطنه حفاظ الأسد باع الجولان للكيان الصهيوني من أجل الكرسي ثم جاء ابنه ليكمل بيع ما تبقى من وطن لفارس ومن أجل الكرسي أيضاً، فهل هذا هو ما ثرنا من أجله.

لم يعد من الممكن قبول مثل هذا النهج أو تلك السياسة، خصوصاً من يدعون تمثيل ثورتنا التي ضحينا من أجلها بالغالي والنفيس ولن نقبل أن نستبدل مستبدًا كبيراً بجيش من المستبددين الصغار، الذين وبلا أدنى شك لن يلبيوا كثيراً قبل أن ينتجووا لنا من بينهم من هو أشد استبداداً وظلماً وإجراهاً وسيصبح من الصعب إسقاطه.

لابد من وقفة مع الذات ومراجعة متأنية تأخذ تضحيات شعبنا بعين الاعتبار وتضع مصلحة هذا الشعب أولوية لا ينبغي التفريط بها أو تجاوزها، ثم بعد ذلك نقرر إن كنا أهلاً للثقة وقادرون على حمل الأمانة التي سنحاسب عليها أمام الله والتاريخ، فالاستمرار بالرأي والقرار لن ينتج إلا مزيداً من الفرقة والتشتت والحل لا يكون إلا حلاً جاماً ينتج قيادة سياسية

وعسكرية معترفاً بها من السوريين قبل غيرهم لأن تكون شرarium وأدوات يحركها الآخرون كيف شاؤوا.
استيقظوا يا مستبدى الثورات قبل أن تصبحوا في مواجهة مع شعوبكم التي وثبتت لكم ظناً منها أنكم منها وفيها ولن تنفذوا
إلا إرادتها ولا شيء آخر.

سراج برس

المصادر: